

وقيل في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَكِيمُونَ﴾ (التوبة 112) أن السائحين المهاجرين.

وقيل لم يهاجر ﷺ حتى طلب الهجرة، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء 75).

فالداعي: محمد ﷺ، والقرية: مكة - والولى والنصير: الأنصار. ومن الأسرار الإلهية عن "المدينة" مقر الهجرة أن لا يدخلها الطاعون ولا الدجال. حيث ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلَى أُنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ". وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ - لَيْسَ لَهَا مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجِفُ الْمَدِينَةَ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ.

### محمد رسول الله ﷺ شهيد يوم القيامة

فقد تفضل الله سبحانه وتعالى بأن أعلى من شأنه على جميع الأنبياء والمرسلين، وستظهر هذه المكانة العالية يوم القيامة حين يبعث كل الخلائق ويكون كل نبي شهيداً على قومه ويسأل عما فعلوا.

ويكون محمد ﷺ شهيداً على كل هؤلاء - حيث ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: "أَقْرَأَ عَلَى الْقُرْآنِ"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأَ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟

قال: إني أشتهى أن أسمعه من غيري، فقرأ عليه من سورة النساء: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

(النساء ٤١). فرفع رأسه ونظر إلى النبي فغذا عيناه تذر فان \_ لقد تذكر ذلك اليوم الرهيب والموقف المهول والمشهد المخيف يوم يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض \_ قال تعالى "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" (الحج).

وقال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلاع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيداً والإشارة لقوله: (على هؤلاء) إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار وإنما خص كفار قريش بالذكر لأن وظيفة العذاب أشد عليهم من غيرهم لعنادهم عند رؤية المعجزات وما أظهر الله على يديه من خوارق العادات دليل الإشارة إلى جميع أمته.

ولقد أورد مثل هذه الآية في سورة النحل لقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩).

وأورد ابن كثير: بشأن هذه الآية السر الإلهي حولها بقوله مخاطباً عبده ورسوله محمد ﷺ أن أذكر ويل اليوم وهوله وما منحك الله من الشرف العظيم الذي هو سيد المرسلين بحق والذي أرسل للعالمين كافة.

القسم الوحيد بالقرآن صدر من الله للرسول محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿ لَعَنَّاكَ إِتْمَمَ لَيْلِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ ﴾ (العنكبوت ٧٢).

قال القامض أبو بكر بن العربي: قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشریفاً له. إن قومه من قريش في

سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون. وهكذا قال النقاد عياش:  
أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة  
محمد ﷺ - ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وحياتك - وهذا نهاية  
التعظيم وغاية الحب والتشريف.

وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه  
أكرم البرية عنده.

## القرآن الكريم معجزة خالدة

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على قلب رسوله ﷺ  
معجزة باقية خالدة. والقرآن نازل لجميع الخلق بما يدل على عموم  
رسالة النبي محمد ﷺ، وهو نازل من ربهم الذي هو الحاكم بينهم  
والحاكم عليهم، ونزوله من كمال ربوبية الله، وهو رحمة للعباد  
وربوبية الله مبنية على الرحمة.

فكل ما أمر الله به عباده ونهاهم عنه فهو رحمة. والقرآن كلام  
الله، لأنه منزل من عنده، فالقرآن هو مادة الله الخالدة التي لا يشبع  
منها العلماء، فهو باق كما أنزله الله، تمر عليه السنون وهو على جدته،  
لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله أنزل على القرآن أمراً وزاجراً، وسنة  
خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما  
بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، ولا تنفض عجائبه،  
هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن  
خاصم به فليج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك  
به هدى إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله،  
ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين،